مَسِيرَة خَالِد
أو
الدَّرب المفقُود

تأليف

العميد محمّد علي مادون

٩٥٣,
م م م

عُني بطبعِهِ ومُراجعَتِه

خادِمُ العِلم

عبدُ الله بن ابراهيم الأنصاري

طُبِعَ على نفقةِ الشؤون الدينيّة

بدولةِ قطر

مَسِيرَةُ خَالِد
أو
الدَّرْبُ المفقُود

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
رقم التصنيف: ٢٣٩٥٣م م
الرقم العام: ٨٣٢٤
الرقم الآلي: ٥٠٤٠٠
جهة الورود: .....

مَسِيرَةُ خَالِد
أو
الدَّربُ المفقُود

تأليف
العميد محمّد علي مادون

عُني بطبعِهِ ومُراجعَتِه
خادِمُ العِلم
عبدُالله بن ابراهيم الأنصاري

طُبعَ على نفقةِ الشؤون الدينيّة
بدولةِ قطر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

- (نحو نهج أمثل للبحث التاريخي) - ولأصول الكتابة العلمية المبسطة للتاريخ بأسلوب نقدي مقارن

« .... إن العميد الركن محمد علي مادون قد أطلق قنبلة علمية هائلة سيكون لها دويها العلمي في أصقاع العالم العربي والغربي على حد سواء في مقالته (مسيرة خالد من الحيرة إلى اليرموك) يرد فيها خطأ تاريخي وجغرافي كبير انساق إليه المؤرخون المستشرقون والمحليون يتم عن جهل كبير بحقائق التاريخ البديهية. وقد أعادت هذه المقالة - كما سيلمس القارىء العزيز - الحقيقة التاريخية إلى نصابها في بحث علمي تاريخي رصين ».

« هذا البحث النقدي العلمي نموذج موفق من نماذج البحث العلمي التاريخي الذي نسعى جميعا للتوصل إليه. فان النتائج الذي توصل إليها المؤلف قلبت مفاهيم كثيرة متعلقة بحقيقة تاريخنا المكتوب نشكر عليها المؤلف ».

« هيئة التحرير »

---

(١) نشر في مجلة الفكر العسكري العدد(٢) عام ١٩٧٨ (عدد خاص عن التاريخ العسكري).

مسيرُ خالد

من الحيرة إلى اليرموك

أو الدرب المفقود

العميد الركن محمد علي مادون

لله عينا «رافع» انّى اهتدى في مهمه مشتبه إلى سوى
والعين منه قد تغشاها الردى معصوبة كأنها ملأى ثرى
فهو يرى بقلبه ما لا يرى من الصوى تترى له بعد الصوى
فوّز من قراقر الى سوى والسير زعزاع فما فيه ونى
خمس إذا ما سارها الجيش بكى في اليوم يومين رواحا وسرى
ما سارها من قبله إنس يرى هذا لعمري رافع هو الهدى

مقدمة البحث:

– نظراً للَّبس الذي أوقعه البعض في مسيرة خالد بن الوليد إلى الشام قادماً من العراق، إذ رأى بعضهم – وفي رؤيته تجنٍّ – انه قدم عن طريق وهمي لا صلة له بالواقع؛ وملخصه انهم رسموا له طريقاً وهمياً من الحيرة إلى دومة الجندل، ثم مر بوادي

السرحان - بقلبان قراقر على أنها قراقر - ثم ادعوا مروره (بالسبع بيار) على أنها (سوى) ثم (تدمر) شمالا، ثم رسموا تتمة الطريق نحو القريتين. ودفعا لتلك الشكوك التي ساورتهم أحاول فيما يلي إيضاح ما يمكن ايضاحه وابراز الوثائق التي تدحض كل ذلك. لذا سيكون بحثي هذا مستهلا بالوثائق والنصوص المعتمدة وقد بلغت بمجموعها (٣٥) نصا. ثم اناقش فيه بعض الوقائع حول الدرب المفقود بين الحيرة وتدمر. وبالضبط أين قراقر وأين سوى؟. ثم أضع الاستنتاج للدلالة على كل منهما. ثم استعرض مواطن اللبس وأسبابه، والذي وقع به آخرون، واضعا تلك الوثائق موضع التمحيص المنطقي، مذيلا البحث بالسمات الرئيسية التي حكمت عمليات خالد. مرفقا بالبحث نفسه:

أ - صورة عن خريطة المسار لحتي.

ب - صورة عن خريطة المسار لغلوب.

- خريطة عمليات ومسيرات خالد بعد دخوله العراق وحتى اليرموك. وفق تصوري لها. وسلفاً اعتذر عن بعض الاستطرادات لكثرتها، والتي أبقيت عليها أحيانا لضرورة البحث.

المعطيات: (الوثائق والنصوص)

١ - «وقراقر خلف البصرة ودون الكوفة وقريبة من ذي قار... وفي الحديث ذكر قراقر... وهي مفازة في طريق اليمامة قطعها خالد بن الوليد...»[١].

(١) لسان العرب لابن منظور - الجزء (٦) - الصفحة (٤٠٠).

٢ - «قراقر:... علم مرتجل لاسم موضع... ويوم قراقر هو يوم ذي قار الأكبر قرب الكوفة، وقراقر ايضاً وادي لكلب بالسماوة من ناحية العراق نزله خالد بن الوليد عند قصده الشام... وقال السكوني: قراقر وحنو قراقر وحنو ذي قار، وذات العجرم والبطحاء، كلها حول ذي قار.. وقال ابن الكلبي في كتاب الجمهرة: اختصمت بنو القين بن جسر، وكلب في قراقر كل يدعيه فقال عبدالملك بن مروان: أليس النابغة الذي يقول:

يظل الإماء يبتدرن قديحها كما ابتدرت كلب مياه قراقر

فقضى بها لكلب بهذا البيت[١].

٣ - «وحنو ذي قار - وحنو قراقر واحد»[٢].

٤ - «ودعا خالد الأدلة فارتحل من الحيرة سائراً إلى دومة، ثم طعن في البر إلى قراقر ثم قال: كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم، فان استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين؟.. ثم ركبوا من قراقر مفوزين إلى سوى وهي على جانبها الآخر مما يلي الشام.. (و) ان محرز ابن حريش المحازي قال لخالد: اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن ثم أمَّه تفض إلى سوى. فكان أدلهم... وقال (رافع بن عميرة): انظروا علمين كأنهما ثديان.. فقال: احتفروا حيث شئتم فاستشاروا أوشالا وأحساء رواء، قال (ظفر بن دهى) فأغار بنا خالد من سوى على مضيح بهراء بالقصواني وهو

(١) معجم البلدان ج١١ - ١٢ الصفحة (٣١٧ - ٣١٨).

(٢) كتاب الحماسة الشجرية - القسم الأول - الصفحة (٣٤و١٥٧).

ماء من المياه فصبح والنمر.. »[1].

٥ - « .. والمفازة المهلكة على التطير.. سميت الصحراء مفازة لأن من خرج منها وقطعها فاز.. »[2].

٦ - رأي آخر وهو أن « .. المفازة، قال ابن الاعرابي: سميت بذلك لانها مهلكة لانها من (فوز تفويزا) أي هلك. وقال الأصمعي: سميت بذلك تفاؤلا بالسلامة والفوز »[3].

٧ - « .. أراد السير مفوزاً من قراقر.. إلى سوى وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليال.. »[4].

٨ - « فوز من قراقر إلى سوى والسير زعزاع فما فيه ونى خمس إذا ما سارها الجيش بكى في اليوم يومين رواحا وسرى فقطع هذه المسافة في ثمانية عشر يوما لانه كما قال الشاعر: (كان يطوي مسافة اليومين في يوم واحد) »[5]..

الرواح: بعد العصر. وفي ديوان الأخطل الصفحة ٧٠ طبعة الدوحة، السرى: مسير الليل (أو السير في الليل).

٩ - (وربما كان قصر « السدير » هو الذي تحدث عنه

---

(١) الطبري - الجزء الثاني - الصفحة (٦٠٣و٦٠٤).
(٢) لسان العرب لابن منظور - الجزء الخامس - لصفحة (٢٦٠).
(٣) مختار الصحاح - الصفحة (٤٤٢).
(٤) تاريخ الطبري - الجزء الثاني - الصفحة (٦٠٨).
(٥) موسوعة عباس محمود العقاد الاسلامية - الجزء الثاني - الصفحة (٩٥٤و٩٥٥).

الشعراء، وتميل - جرترودبل - إلى الاعتقاد بانه يقوم في موضع دومة الحيرة..)[1].

١٠ - (.. ثم قال: احفروا في أصلها.. فحفروا فاستخرجوا عينا فشربوا حتى رُوي الناس فاتصلت بعد ذلك لخالد المنازل..)[2].

١١ - (... حتى إذا رضي المثنَّى - بصدد قسمتهم للصحابة - وأخذ حاجته، انجذب خالد فمضى لوجهه، وشيعه المثنَّى إلى قراقر ثم رجع إلى الحيرة..)[3].

١٢ - (كان الناس منذ القدم يطلقون على الزهرة اسم نجم الصباح أو المساء بل وكانوا يحسبونها نجمين منفصلين؛ تظهر الزهرة في الصباح فوق الجانب الشرقي من السماء قبيل ظهور الشمس ثم تعود إلى الظهور من الغرب بعد مضي أشهر، فتتألق في الأفق الغربي من السماء ثم تهبط تدريجياً لتختفي إثر اختفاء الشمس)[4].

١٣ - (.. ولقد تميزت اللغة الإيرانية الشرقية تميزاً حقيقياً، ولو أنها حرفت كثيراً وعظم تأثرها باللغة الهندية، حتى ان (ترمب) ظن انها يجب ان تعد من اللغات الهندية، وقد وضع جيجر النقط

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية - ج١ - الصفحة (٥٣١) مادة أخيضر.
(٢) تاريخ الطبري - الجزء الثاني - الصفحة (٦٠٩).
(٣) تاريخ الطبري - الجزء الثاني - الصفحة (٦٠٥).
(٤) من كتاب (بيت الانشائية الكبير) لجماعة السوفييت، ترجمة عماد حاتم - الصفحة (٣٨).

المميزة الآتية للدلالة على أصلها بوضوح وهي:

١ - ...

٢ - ....

٣ - تصير الـ«ك» والـ«ت» والـ«ب» الآرية الخرساء انفلاقية بعد حرف ساكن، وكثيراً ما تختفي في الصيغ الحديثة)[١].

١٤ - (وقد علل ابن خلدون اختلافهم في ضبط الاسماء بقوله: واعلم أن الخلاف الذي وقع في ضبط الأسماء انما عرض في مخارج الحروف.. ومخارج الحروف في لغتهم غير مخارجها في لغة العرب)[٢].

١٥ - وكانت تنوخ أيام الفتوحات الإسلامية الأولى تتحالف عادة مع القبائل العربية التي تنصَّر بعض أفرادها، والتي تنزل أطراف بلاد العرب، مثل البهراء وكلب وسليم وغسان وغيرها. واتجه خالد بن الوليد عام ١٢ من الهجرة بعد فتح عين التمر إلى دومة الجندل، حيث تجمع عدد من تنوخ بقيادة زعمائهم، فقد كانت عشائر من غسان وتنوخ بزعامة جبلة بن الأَيْهم تضيق الخناق على عياض بن غنم، وكرَّ العرب على جيش المسلمين فباءُوا بالفشل ولم يعد منهم إلى الحصن إلا القليل، وفتحه المسلمون بعد ذلك ولم يبقوا إلا على النساء والاطفال)[٣].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية - ج٢ - الصفحة (٣٧٣).

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي - الصفحة (٤١٥) ج١.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية - الجزء ٥ - الصفحة (٥١٣).

بينما تذكر دائرة المعارف الإسلامية الصفحة ٢٥٣ - جزء ٤ في مادة بهراء (أن فتح الشام تم عام ١٣ للهجرة وليس عام ١٢).

١٦ - (وفي الاسبوع الاول من نيسان ٦٣٤، الأول من صفر عام ١٣ للهجرة، بدأت قوات المسلمين بالتحرك، وكان يزيد أول من تحرك، وعندما غادرت قواته معسكرها خارج المدينة سار معه أبو بكر مسافة قصيرة..).

(عندما عاد أبو بكر من الحج السنوي في مكة في شباط ٦٣٤ وعاد إلى حمل السلاح من أجل فتح الشام، عمل على تعبئة جميع القادرين على حمل السلام من مسلمي الجزيرة العربية في شهر آذار عام ٦٣٤م شهر محرم عام ١٣ هجري).

(وكان أول من قاد حملة عسكرية هامة إلى بلاد الشام هو خالد ابن سعيد بن العاص... ففي أواخر عام ١٢ هجري (أوائل عام ٦٣٤م) عينه أبو بكر بتيماء...)[١].

١٧ - «على انه لم يثب على الفراض وثبته تلك حتى كان قد (طهر) جوف الصحراء من جموع الأعراب التي تكوفت إلى دومة الجندل، وعوقت عندها زميله عياضا قرابة عام، فلما ترامت انباء فتوحه إلى عياض كتب إليه يستشيره ويستنجده، فكان هو على عادته أول جواب بعد أن رجع الخطاب وكتب إليه يقول:

لبِّث قليلا تأتك الجلائب يحملن آساداً عليها القاشب

كتائب تتبعها كتائب

(١) سيف الله خالد بن الوليد. أكرم - الصفحة (٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥).

وكانت تفصله عن دومة الجندل مسيرة اسبوعين فقطعها هو في أقل من عشرة أيام... وتدافع المنهزمون إلى الحصن.. فسبقهم خالد إليه وانتزعه. ثم قفل إلى العراق وهو مطمئن إلى غزوة الفراض فغزاها وفرغ منها.. وكان قد بقي على موسم الحج اسبوعان... وفي خطفة الريح العاصفة خرج... وأدى الفريضة وعاد إلى معسكره دون ان يعلم الخليفة نفسه (ثم) علم الخليفة بمغامرته فجاءه منه ملام واعجاب وتكليف ووصاة: أمره بحرب الدولة الرومانية بعد هذا الفوز الذي أصابه في حروب الدولة الفارسية.. وقال له: سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فانهم شجوا وأشجوا، وإياك أن تعود إلى مثل ما فعلت.. »[1].

١٨ - « واتفق خروجه من الحيرة وجيوش المسلمين في الشام تشرع في خطة جديدة للتراجع إلى الجنوب وملاقاة الجيوش الرومانية الجرارة في جمع واحد..

وكان الخليفة قد سيرها - بعيد منتصف السنة الثانية عشرة للهجرة - مع أربعة من كبار القادة »[2].

١٩ - « .. ثم خرج خالد من المضيح فنزل حوران ثم الرنق ثم الحماة، ثم الزميل، وهو البشر والثني معه، وهما اليوم شرقي الرصافة.. »[3].

---

(١) موسوعة عباس محمود العقاد الاسلامية - الصفحة (٩٥٤ - ٩٥٥).
(٢) تاريخ الامم والملوك للطبري - الجزء الثاني - الصفحة (٥٨٢).
(٣) تاريخ الامم والملوك للطبري - الجزء الثاني - الصفحة (٥٨٢).

٢٠ - « .. قالوا: كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد - إذ أمره على حرب العراق - ان يدخلها من أسفلها. وإلى عياض - إذ أمره على حرب العراق - أن يدخلها من أعلاها، ثم يستبقا إلى الحيرة فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه. وقال: إذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس وامنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم، فليكن احدكم رِدْءاً للمسلمين وصاحبه بالحيرة، وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن »[١].

٢١ - « المضيح:

لئن مر في كرمان ليلى فربما حلا ما بين بابل فالمضيح

والمضيح: جبل في ناحية الكوفة »[٢].

٢٢ - « وأقام خالد في عمله سنة ومنزله الحيرة يصعد ويصوب وقبل خروجه إلى الشام أقام - فيما بين فتح الحيرة إلى خروجه إلى الشام - أكثر من سنة يعالج عمل عياض الذي سمي له، وقال خالد للمسلمين: لولا ما عهد إلي الخليفة لم أنقذ عياضا. وكان قد شجى وأشجى بدومة، وما كان دون فتح فارس شيء ... وكان عهد إليه أن لا يقتحم عليهم وخلفه نظام لهم؛ وكان بالعين عسكر لفارس وبالانبار آخر وبالفراض آخر »[٣].

---

(١) الطبري - الصفحة (٥٥٤).

(٢) ديوان الطرماح الصفحة (١٠٠).

(٣) الطبري - ج٢ - الصفحة (٥٧٣).

٢٣ - « ...واستخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو، وخرج خالد في عمل عياض ليقضي ما بينه وبينه ولإغاثته، فسلك الفلوجة حتى نزل بكربلاء... »[١].

بينما استخلف المثنى على الحيرة عند ذهابه إلى الشام نجدة للقادة الذين أوفدهم أبو بكر في اليرموك - وشيعه عند مسيرته المثنى حتى قراقر - بعد أن اقتسما الصحابة كما سلف في الوثيقة.

٢٤ - « ... ومدوا من تدمر أيضاً نحو الشرق رصيفين، الأول المتجه نحو الصالحية «دورا أورونس» على الفرات، والثاني المتجه شرقاً الى الجنوب نحو هيت مارا بقصر صواب »[٢].

٢٥ - «ولما بلغ أهل دومة الجندل مسير خالد اليهم بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم.. »[٣].

٢٦ - «يجتمعون فيها إلى المضيح وهو بين حوران - والقلت.. »[٤].

٢٧ - «وقد نزل ربيعة بن بجير التغلبي الثني والبشر... ثم خرج خالد من المضيح فنزل حوران ثم الرنق ثم الحماة.. ثم الزميل

---

(١) الطبري - ج٢ - الصفحة (٥٧٤).

(٢) كتاب عشائر الشام لوصفي زكريا الصفحة (٦٢) بصدد اكتشاف الاب بواديبار اليسوعي للطرق والأرصفة القديمة في كتابه الأخير (أثر روما في بادية الشام).

(٣) الطبري ج٢- (ص ٥٧٨).

(٤) الطبري - ج٢ - الصفحة (٥٨٠)

وهو البشر والثنـى معـه، وهما اليوم شرقي الرصافة فبدا بالثنى »[1].

٢٨ - « .. وسار إلى دومة الجندل فقتل (أُكيدر) وسبى ابنه الجودي ورجع فأقام بالحيرة. هذا كله سنة اثنتي عشرة »[2].

٢٩ - « ... فقال عمرو: أيها الناس أَبشروا حصرت والله الروم وقلَّ ما جاءَ محصوراً بخير. فأقاموا بإزائهم على طريقهم ومخرجهم صفر من سنة ثلاثة عشرة وشهري ربيع لا يقدرون من الروم على شيء ... حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأول، وقد استمدوا أبا بكر وأعلموه الشأن، فكتب إلى خالد ليلحق بهم، وأمره ان يخلف إلى العراق المثنَّى فوافاهم في ربيع ... ومرض أبو بكر رحمه الله في جمادي الأولى، وتوفي في النصف من جمادي الآخرة قبل الفتح بعشر ليال »[3].

٣٠ - « .. فشخص خالد من الحيرة في ربيع الآخر السنة الثالثـة عشرة للهجرة... واستخلـف على عملـه المثنَّى بن حارثة .. »[4].

٣١ - « ... يجتمعون فيها إلى المضيحين وهو بين حوران - والقلت ».[5].

(١) الطبري - ج٢ - الصفحة (٥٨٢).
(٢) الطبري - ج٢ - الصفحة (٥٨٤).
(٣) الطبري - ج٢ - الصفحة (٥٩١).
(٤) الطبري - ج٢ - الصفحة (٦٠١).
(٥) الطبري - ج٢ - الصفحة (٥٨٠).

٣٢ - « ... وجود اسم الرب - ساعي القوم - »[١].

٣٣ - « سوى: اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة، وعليه مر خالد بن الوليد (رضي الله عنه) لما توجه من العراق إلى الشام، ومعه دليله رافع بن عميرة الطائي، وقيل: إن سوى وادٍ أصله الدهناء ... »[٢].

٣٤ - « السماوة: ماء بالبادية.. وبادية السماوة التي هي بين الكوفة والشام قفرى وأظنها مسماة بهذا الماء.. »[٣]

٣٥ - « .. وكان خالد قد أقام بدومة، فظن الأعاجم به وكاتبهم عرب الجزيرة غضبا لعقة بن أبي عقة... فلما رجع خالد من دومة إلى الحيرة.. بلغه ذلك، فخرج خالد.. واستخلف على الحيرة عياض بن غنم.. »[٤].

٣٦ - « وأحسن ما ورد في كتاب الفتوح.. قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه سنة ٩ هـ إلى أكيدر بن عبدالملك بدومة الجندل؛ فأخذه أسيراً وقتل أخاه وقدم بأكيدر على النبي (ﷺ)... فأسلم أكيدر وصالح النبي ﷺ وكتب له ولأهل دومة كتاباً. ثم عاد أُكَيْدر إلى دومة فلما توفي رسول الله ﷺ

---

(١) الصفحة ١٤١ من الحوليات الاثرية العربية السورية - المجلد ٢٥ (١٩٧٥) - الجزء الأول والثاني بصدد ذكر الاله (شيع القوم) على حجر التنف بمتحف تدمر.

(٢) معجم البلدان ج٩ - ١٠ - ص٢٧١.

(٣) معجم البلدان ج٩ ،١٠ ص٢٤٥.

(٤) الطبري ج٢ ص ٥٧٩ - ٥٨٠.

منع أكيدر الصدقة، وخرج من دومة الجندل ولحق بنواحي الحيرة **وابتنى قرب عين التمر بناء وسماه «دومة..»**.

- وقد روي أن أكيدر كان **أولا بدومة الحيرة** وهي كانت منازله.. وكانوا يزورون أخوالهم من كلب.. رفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها، وهي مبنية بالجندل فأعادوا بناءها.. وسموها دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة الحيرة، وكان أكيدر يتردد بينها وبين دومة الحيرة »[1].

المحقق: وهكذا فإن دومة الجندل غير دومة الحيرة رغم انهما كانتا لاكيدر بن عبدالملك، وهذا ما أوقعهم باللبس.

---

(١) معجم البلدان - ج٢ - ص ٤٨٨.

مسيرة خالد الاستراتيجية

أم سوقية القرصان[1]

(كان للخدعة الاستراتيجية التي غطى بها خالد مسيره أثر ما زال مستمراً حتى الآن، من حيث تضليله لعيون العدو والمراقبين لدرجة انه ما يزال هناك التباس حول الطريق المتبع في فتح الشام ولا مجال لحسمه إلا بالمناقشة المنطقية، والمقارنة التاريخية للأقوال والظواهر التي بقيت عن هذه المسيرة - التي لن تتكرر - لان تلك العبقريات انقضت وبقيت آثارها، كما أن التحركات الاستراتيجية التي تنفذ أو سيقدر لها التنفيذ انما تتم في ظروف موضوعية لا تقارب تلك لا شكلا ولا موضوعا، لذا كانت مقارنة «كلوب» في كتابه: الفتوحات العربية الكبرى، لزحفه والجيوش البريطانية عام ١٩٤١ إلى تدمر، لملاحقة بقايا الفيشيين والألمان، دليلا بيِّنا على التجني والتحريف في التاريخ العربي، وهي مقارنة ظالمة لم تأخذ بالاعتبار الفارق الزمني والتطور التكنولوجي - ووسائل النقل الحديثة، ولا وسائط الاتصال المتطورة ولا وسائل نقل المياه بالصهاريج والامداد السريع باحتياجات المعارك - ومع

(١) التسمية التي أطلقها حقداً (غلوب) على سوقية خالد في كتابه (الفتوحات العربية الكبرى) الصفحة (١٨٧).

ذلك ينحي على خالد بالفشل ويسميها (سوقية القرصان)، ويثني على غزوه وعلى النجاح الذي يدعيه. وإني أدعو إلى ازالة تلك التجنيات التي يمارسها المشوهون للتاريخ العربي - ولنستمع لغلوب الصغير يتطاول محاولا تشويه التاريخ، وبدون تعليق نترك القارىء هذا ليلمس بنفسه قدر التجني على تاريخه.

فقد ورد في كتابه المشار إليه (الصفحة ٢١٠):

(ويصف المؤرخون العرب مسيرة خالد بالنصر العظيم... لكنني (غلوب) أرى أن هذا الإدعاء يفتقر إلى الإثبات والدليل...).

ثم يضيف:

(وفي التاريخ العسكري المعاصر مواز لهذا الحادث؛ فلقد قام الجيش البريطاني في مايو (أيار) ١٩٤١ ومعه قوات فرنسا الحرة بغزو سورية، التي كانت تسيطر عليها قوات حكومة فيشي... ثم تقدم رتل بريطاني آخر تصحبه قوات الجيش الأردني، فعبر بادية الشام لمهاجمة تدمر واحتلالها.. ولا ريب في أن هذه العملية صورة طبق الأصل عن عملية خالد الالتفافية، لكنها تختلف في انها نجحت بينما فشلت عملية خالد، لكن القوات البريطانية وقوات الجيش العربي كانت آلية بينما جنود خالد من الهجانة).

أين قراقر؟

وأين سوى؟

لا بد لأي متأمل فيما ورد عن مسيرته الظافرة لفتح بلاد الشام

أن يذكر خالداً وهو يجتاز تلك الفيافي في الصحراء مفوزاً من قراقر إلى سوى، ولقد تعثر الكثيرون في مجاهل تحديد تلك المفاوز، على انها تقع شمالي وادي السرحان مما يلي بلاد الشام متوهمين بـ(قلبان قراقر - ج قليب وهو البئر الواسعة التي لم تطوق بحجارة..) ظانين انها مفازة قراقر. ثم تاهوا ثانية أمام (سوّى) فظنوا وهماً أنها السبع بيار الحالية أو قربها - فهم بذلك أعطوا لها تحديداً مبنياً على التقدير أكثر منه تفسيراً واقعياً أو ميدانياً للمسيرة التاريخية.

لذا فإن التحديد الذي قام به كل من (حتي وغلوب وغيرهما) لقراقر وسوى على أنها قلبان قراقر والسبع بيار، لا ينطبق على الواقع ولا يمكن الاعتداد به. ففي كتابيهما - تاريخ سورية ولبنان وفلسطين للأول، «والفتوحات العربية الكبرى» للثاني عندما يتحدثان عن مسيرة خالد - ظناً ودون دليل على أن الطريق مرَّ بدومة الجندل ثم قلبان قراقر ثم السبع بيار ثم تدمر أقصى الشمال ثم القريتين وحوارين وبقية المسار إلى اليرموك، ولأن هذا الطريق متصل المنازل وفيه مياه كافية لقفل عابر وحتى لجيش خالد، مع العلم أن:

١ - عند الذيل البعيد تل لشرقي جبل العرب توجد منطقة «الجويف» الكثيرة المياه والقريبة من سطح الأرض.

٢ - إن أطراف البادية الشرقية لم تكن خالية من العيون

والمراقب، التي كانت تمثل الاستطلاع من مراكز ثابتة - وأحيانا بدوريات متحركة.

٣ - إذا افترضنا أن خالداً في طريقه إلى الشام احتل دومة الجندل، فلا بد أن أخباره سبقته ولم يعد لتلك العملية التضليلية أي شأن، ولا بد من افتراض اتخاذ قرار ما، سواء على مستوى القيادة الرومانية أو على مستوى أي قائد تابع لها بلغة تقدم جيش خالد.

٤ - لا يستطيع أي متأمل في المسار الذي نحا إليه كل من (غلوب وحتي) أن يرى معنى كبيراً لتوجهه من دومة الجندل جنوباً إلى تدمر شمالاً، ثم العودة إلى الجنوب حتى اليرموك، إذ أن تلك المناورة الكبيرة لا توفر وقتا ولا تفوت على الروم فرصة كشفهم، ولا تقدير حجم قوتهم، ولا تعني عسكرياً أكثر من مناوشات منهكة لجيش خالد، وبعيداً عن منطقة تركيز الجهود، وبحيث إذا افترضنا صحة المسار فإننا نجدها حركة زائدة، لا بد انها أدت إلى انهاك قواته عبثاً في أعمال ثانوية ليس لنتائجها أي أثر مباشر على المعركة الاساسية، حيث كانت جيوش المسلمين بانتظار نجدته بقوات جاهزة وطازجة.

٥ - ان فكرة خالد المتعلقة بعدم إتاحة الفرصة لجيوش الروم لانها ان استقبلته حبسته عن نجدة المسلمين في اليرموك، فهو بذلك إنما جاءهم وكأنه قادم من الجزيرة العربية، بينما كان يهدف إلى أن يأتي تي الروم من ظهرهم: (كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء

جموع الروم؛ فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين...).

٦ - وإذا علمنا أن من عادة القادة أو الأمَّار البدائل والمخلفين وراء الجيوش أن يخرجوا في وداع من يخلفونهم إذا غادروهم، فيشيعونهم عادة إلى البلد التالي أو إلى أول الطريق الذي يفضي إلى غايتهم، وهي عادة حسنة استمرت وما زالت رغم تقاليدها في الجاهلية التي تخلى عنها الإسلام، وما ورد إلينا يؤكد ان تلك عادة قديمة كانت في الجاهلية أيضاً، فقد كان الاله «شيع القوم» أحد آلهة تدمر هو الذي يشيِّع الركبان ويحميهم وقوافلهم.

(فعلى حجر التنف المحفوظ في متحف تدمر رقم ما يشير إلى «ساعي القوم» وهو «شيع القوم» والتنف، حيث التقط هذا الحجر مكان ليس ببعيد عن المنطقة التي نتحدث عنها. عن المجلد «٢٥ / عام ١٩٧٥ / من الحوليات الأثرية السورية الصفحة ١٤١ »).

وقد شيع المثنَّى خالداً من الحيرة حتى قراقر - وبذلك إشارة إلى أن /قراقر/ المقصودة ليست قلبان قراقر/ التي نحا إليها «غلوب وحتِّي» إذ أن ذلك يتطلب من المثنى أن يعين خلفاً له أو أن يعصي أوامر الخليفة، كما يتطلب مشاركة خالد في هذه المخالفة، وكلاهماٌ لم يحصلا ولم يرد بصددهما أية إشارة، والمألوف ألا يتجاوز الوداع اليوم الواحد، لا أن يكون من الحيرة إلى دومة الجندل مسيرة أسبوعين ومثلها للعودة، وهذا يتناقض مع الغاية من الوداع والتشييع (ويكون المثنى قد قضى شهراً في الوداع) وهذا ما لم يحدث.

٧ - وإني اعتقد أن سبب الانزلاق في هذا الخطأ هو ذكر كلمة دومة حيث ورد في النص أن خالداً:

(دعا الأدلة فارتحل من الحيرة سائراً إلى دومة ثم طعن في البر إلى قراقر...).

ولكن إذا عرفنا:

- إن دومة هذه ليست بالضرورة دومة الجندل.

- وان الحيرة كان لها دومة أيضاً، فقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية (ص ٥٣٠ - ٥٣١) ما يلي: في مادة (أخيضر): (... اسم قصر لا تزال أطلاله باقية إلى اليوم في صحراء العراق، على بعد ٢٥ ميلا من كربلاء و١٠ من شفائية، وربما كان قصر (السدير) الذي تحدث عنه الشعراء، وتميل - جرترود بل - إلى الاعتقاد بأنه يقوم في موضع دومة الحيرة).

وهكذا فان النص يوضح انه ارتحل من الحيرة سائراً إلى دومة - ولم يقل إلى دومة الجندل - ثم طعن في البر إلى قراقر. (ان كلمة «ثم» تعني بالضرورة التتالي في التعداد والسرد كما تعني تقييد التسلسل، حصراً بأن دومة هذه تلي الحيرة كما أن قراقر تلي دومة، بينما إذا شئنا إطلاقها على دومة الجندل، فبذلك يكون المؤرخون قد تحدثوا عن الصعوبات التي اعترضت مسيرة خالد، ليس في المفازة الصعبة بين الحيرة ودومة الجندل، بل بين وادي السرحان الوارف وبين شرقي جبل العرب الحالي، وعلى الحدود الشرقية وعرة الصفا التي كانت مكتظة بالمراقب الرومانية

والمسالح، وشرقيها خزانات المياه ما زالت قائمة في الصخور، ومنطقة الجويف الكثيرة المياه السطحية والقريبة من سطح الأرض، وعلى أي حال لم تكن جافة أكثر مما بين الحيرة ودومة الجندل، وكان من المفترض أن يكون مرور خالد قريباً من قصر أسيس (السيس حالياً) ١٠٥ كم ش دمشق.

ونكون بذلك قد تجاوزنا مسيرة طويلة لأيام عديدة دون ذكر لموضع واحد وهكذا. فبالعودة إلى نص الوثيقة (٣٦) المرفقة نجد القول الفصل: وهو أن للحيرة دومة هي غير دومة الجندل.

فلنبحث عن قراقر اذن.

٨ - وبالعودة إلى نص الوثيقة رقم (٢) والمأخوذة عن معجم البلدان الجزء ١١ - ١٢ الصفحة ٣١٧ - ٣١٨ في مادة (قراقر) ارجع إلى الصفحة الثامنة من هذا البحث لتقرأ ما ورد بهذا الخصوص.

الاستنتاج:

فإذا كانت لدينا هذه المعطيات، فلا بد أن المقصود (بقراقر) هي تلك البادية الواقعة إلى الجنوب من الحيرة - والممتدة شرقاً حتى شمالي المنطقة المحايدة، وغربا حتى منطقة القعرة (ج مصرية) الحالية شرقي الحدود العراقية الجنوبية الغربية.

٩ - وإذا أخذنا بالاعتبار المسافات، نجد فعلا أن المسافة بين الصحراء مما يلي الحيرة وبين صواب هي حوالي ٤٥٠ كم أي مسيرة

٤ - ٥ أيام، وإذا علمنا أن خالداً كان يسير ضعف المسير اليومي العادي الذي يقدر بـ٤٠ - ٤٥كم، أي ٨٠ - ٩٠كم فبمسيره حثيثاً كان يطوي مسيرة اليومين في يوم واحد. فقد ورد في الوثيقة رقم (٨) وتتمتها، المأخوذة عن ج ٢ من موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية الصفحة ٩٥٤ - ٩٥٥ ما يلي:

« .. فوَّز من قراقر إلى سوى والسير زعزاع فما فيه ونى
خمس إذا ماسارها الجيش بكى في اليوم يومين رواحاً وسرى

فقطع هذه المسافة - بين العراق واليرموك - في ثمانية عشر يوماً لانه كما قال الشاعر: «كان يطوي مسافة اليومين في يوم واحد...» ومسيرة الرواح (عندما يروح الظاعن مساء أي أول الليل)، وأما مسير السرى (عندما يقرب الليل من نهايته) فهكذا تكون فترة الراحة وقت القيلولة في اشتداد الحر، بينما المسير في وقت تخف فيه الحرارة، وما زال ذلك مفضلا عند بدو الصحراء، وهذه الصفة في السير الحثيث لدى خالد كانت مألوفة لديه؛ حيث سار قبلها بنفس الطريقة عندما ذهب إلى عياض بن غنم في دومة الجندل لينجده فيها (وهي مسيرة أخرى فيما أعتقد أوقعت المؤرخين في اللبس الذي ندفعه عن مسيرة خالد لفتح الشام) فقد ورد أيضاً في موسوعة عباس العقاد الإسلامية الصفحة ٩٥٠ وما بعدها، المجلد الثاني ما يلي: (على أنه لم يثب - خالد - على الفراض - البوكمال - وثبته تلك حتى كان قد «طهر» جوف الصحراء من جموع الاعراب التي تكوفت إلى «دومة الجندل» وعوقت عنه

زميله (عياضا) قرابة عام، فلما ترامت أنباء فتوحه إلى عياض كتب يستشيره ويستنجده، فكان هو على عادته أول جواب بعدما رجع الخطاب، وكتب إليه يقول:

ليِّث قليلا تأتك الجلائب يحملن آساداً عليها قشاشب
كتائب تتبعها كتائب

وكانت تفضله عن دومة الجندل مسيرة أسبوعين فقطعها هو في أقل من عشرة أيام... وتدافع المنهزمون إلى الحصن... فسبقهم خالد إليه وانتزعه.. ثم قفل إلى العراق وهو مطمئن إلى غزوة الفراض فغزاها وفرغ منها.. بقي على موسم الحج اسبوعان - في خطفة الريح العاصفة - فخرج.. وأدى الفريضة وعاد إلى معسكره دون أن يعلم الخليفة نفسه... ثم علم الخليفة بمغامرته فجاءه منه:

١ - ملام - (اياك ان تعود إلى مثل ما فعلت...).

٢ - واعجاب - (فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة...).

٣ - وتكليف - (سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فانهم شجوا وأشجوا...).

٤ - ووصية - (أتم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل...).

وتلقى أمره بحرب الدولة الرومانية بعد هذا الفوز الذي أصابه في حروب الدولة الفارسية...

«سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فانهم شجوا وأشجوا واياك ان تعود إلى مثل ما فعلت».

١٠ - وفي متابعتنا البحث في أسماء الأماكن رأينا أن «سوى» التي فوّز اليها خالد من قراقر والتي تاه (كلوب وحتي والجنرال أكرم) وغيرهم في البحث عنها أيضاً، فإنا نذكر بأن (صواب) هو واد بين العراق والشام وإلى الجنوب الغربي من البوكمال؛ وهو يمتد من الجنوب نحو الشمال معترضاً القادم من الشرق إلى الغرب والعكس، على طول الحدود السورية الحالية تقريباً وحتى نهر الفرات ما بين الصالحية والبوكمال.

وفي البحث عن «سوى» نجد ذكرها كما يلي:

- والسوى مكان معلّم - نقول: هذا المكان سُوى. ويقرأ بالضم ومعناه المنتصف ما بيني وبينك. والصوى بالصاد لها أصل في العربية وهي جمع صُوَه، فهي تعني حجراً يكون علامة في الطريق. والصوى الأعلام المنصوبة المرتفعة في غلظ؛ وهي أعلام من حجارة (رجوم) منصوبة في الفيافي والمنازل المجهولة على الطريق. وقيل: الصوى ما غلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلا (أنظر مادتي سوى وصوى في لسان العرب).

- أما هذان العلمان اللذان أرشدا «رافع بن عميرة» في وصوله للماء؛ حيث ورد في الطبري (ج١ - ص ٦٠٣) «... وقال رافع: انظروا علمين كأنهما ثديان. ثم عثروا عليهما وقالوا: علما فقال: اضربوا يمنة ويسرة لعوسجة كقعدة الرجل فوجدوا جذمها.. فقال:

احتفروا حيث شئتم. فاستشاروا أوشالا، واحساء رواء...» فنعتقد أنهما هما المرتفعان اللذان يمر صواب بينهما والمسميان بالـ(دملوغين) مثنى دملوغ.

وإذا ما نظرنا إلى وادي صواب بين العراق والشام، وجدنا العلمين إلى جانب الوادي وهما الان مسميان باسم (الدملوج العراقي - والدملوج السوري) ويتباعدان بما لا يتجاوز ١٥٠٠م لكنهما يريان من مسافة بعيدة لانفتاح الأرض وانبساطها في تلك الناحية: ومما يؤيد هذا التفسير أن صواب يمر بينهما حيث يُسمّى هناك (عقلة الصواب) وهي ماء يتجمع من السيول (والحسو مألوف) وهذا ما يتطابق مع التعبير: (فاستشاروا أوشالا واحساء (رواء) والوشل واحدها وهو ماء ينز قليلا والحسو كما ذكرت، وهنا لا بد من ذكر: أن الورد على حسو يتميز كثيراً عن الورد على بئر، لانه في الثاني يتطلب وقتا طويلا ليشرب الجيش وركائبه، بينما في الأول (الحسو) تحتفر كل مجموعة حسوا وأوشالا فيشربون معا وفي وقت واحد وهكذا لا يستهلك الجيش وقتا في وروده الماء. وتفسيرنا هذا لـ(سوى) يتطابق مع عبارة «... ثم ركبوا من قراقر مفوزين إلى سوى» وهي سوى على جانبها الآخر (قراقر) مما يلي الشام. الصفحة ٦٠٣ - ٦٠٤ الطبري ج٢.

- كما ورد في معجم البلدان لياقوت الحموي الجزء ٩ - ١٠ ص٢٧١:

(سوى.. اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة، وعليه مر خالد بن

الوليد (رضي الله عنه) لما قصد من العراق إلى الشام ومع دليله رافع الطائي... وقيل أن سوى واد أصله الدهناء..) وفي الواقع فان صواب هو واد ما زال معروفاً.

ومن المجدي أن نذكر النص التالي الذي أورده الطبري في الجزء الأول الصفحة ٦٠٣ من تاريخه:

(.. ثم ركبوا من قراقر مفوزين إلى سوى - وهي على جانبها - جانب مفازة قراقر - مما يلي الشام..).

- فإذا علمنا أن تلك المنطقة كانت على الحدود بين الفرس والروم، فلا يمكن أن نعزلها عن التأثر بالعوامل المألوفة «ومنها اللغة والاعلام» في مثل هذه الحالة.

- والمعروف عن العرب أن عندهم عادة التحريف أيضاً (قلب بعض الحروف في الكلمة) والتصحيف - (تغيير تنقيطها) والنحت أيضاً.

- كما ورد في تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي (الصفحة ٤١٥) الجزء الأول ما يلي:

«وقد علل ابن خلدون اختلافهم في ضبط الأسماء بقوله: واعلم أن الخلاف الذي في ضبط الأسماء انما عرض في مخارج الحروف... ومخارج الحروف في لغتهم غيرها في لغة العرب...». وقد ورد هذا النص بصدد الأسماء وبعض الاعلام التي ربما كان أصلها تسمية أجنبية. إضافة لذلك وبالعودة إلى الوثيقة رقم (١٢) المأخوذة عن

ما ورد في دائرة المعارف الإسلامية الجزء ٢ - الصفحة ٣٧٣ والمتضمنة ما يلي:

(... وقد تميزت اللغة الإيرانية الشرقية تميزاً حقيقياً، ولو انها حرفت كثيراً وعظم تأثرها باللغة الهندية، حتى أن «ترمب» ظن أنها يجب أن تعد من اللغات الهندية وقد وضع جيجر النقط المميزة التالية للدلالة على أصلها في وضوح وهي:

١ - .....

٢ - .....

٣ - تصير الـ«ك» والـ«ت» والـ«ب» الآرية الخرساء انفلاقية بعد حرف ساكن وكثيراً ما تختفي في الصيغ الحديثة.

وكذلك بعودتنا إلى الوثيقة رقم (٣٣) والتي وردت في معجم البلدان الجزء (٩) الصفحة ٢٧١ مادة (سوى) نجد النص التالي:

(... وقد ذكر في سواء: اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة وعليه مر خالد بن الوليد (رضي الله عنه) لما قصد من العراق إلى الشام..) مما يؤكد على الاتجاه الذي ننحو إليه.

- وحيث لا شيء يمنع أن تكون تسمية (صواب) قد تأثرت بالفارسية، ويمكن تعليل ذلك التأثر تطبيقاً كما يلي:

- صواب بعد حذف الباء تطبيقاً للفقرة (٣) السابقة تصبح:

- صوا. وحيث مخرج السين المضمومة قريبة من الصاد فيمكن أن تصبح:

- سوا ثم أصبحت الألف مقصورة فصارت:

- سوى.

الاستنتاج:

وبذلك تكون ١ - سوى المقصودة في مسيرة خالد هي صواب/ الوادي/

٢ - والعلمان هما التلان المسميان بالدملوغين العراقي والسوري على الحدود الحالية للبلدين.

وبعد أن توصلنا إلى ما ذكرنا، فانه من المجدي ان نسرد تلك الأعمال المجيدة لخالد بن الوليد وفق ما نرى من حيث تسلسلها، ولذلك فاننا نضع باعتبارنا تسلسل أعماله وفق تاريخها - دون أن نأخذها وفق أهميتها وما تركته من آثار تتفاوت في عظمتها - وذلك منذ انتهاء خالد من حرب الردة في اليمامة ومن حيث دخل العراق حتى وصوله اليرموك كما يلي:

- مسيرته من اليمامة إلى العراق ودخوله العراق من أسفله حتى احتلال الحيرة.

- معالجته لأمر عياض، حيث امتنعت عليه دومة الجندل، ثم مسيرته واحتلالها ثم العودة إلى الحيرة.

- مسيرته إلى الزميل (البشر، والثنى) - البشرى اليوم - ومباغتته لتغلب فيه، ثم انعطافه على الفراض (البوكمال) ووثوبه عليها واحتلالها.

- مسيرته من الفراض مع بدء عودة الجيش إلى الحيرة. وعودته للحيرة داخلا مع مؤخرات جيشه بهدف أداء الحج سرا لمرضاة ربه.

- مسيرته إلى بلاد الشام ونجدته جيوش المسلمين في اليرموك.

فمن خلال ما أوردته الروايات التاريخية والنصوص التي أرخت تلك الأحداث يبدو واضحاً أن خالداً - الذي تلقى تعليمات الخليفة أبي بكر بأن يغزو العراق من أسفل على أن يترك لعياض غزو العراق من أعلى - وحيث لم يتمكن عياض من تجاوز دومة الجندل التي كانت قد عوقته عاما عن مهمته - لم يجد بداً من أن يلبي نداء عياض، فأنجده وفق توجيهات أبي بكر الذي كان قد اوصاها:

١ - بأن من وصل الحيرة أولا منهما فهو أمير على صاحبه.
٢ - وأن يقوم أحدهما باتمام فتح المدائن ففيها عز فارس.
٣ - وأن يكون الآخر ردْءاً (احتياطاً) لصاحبه.
٤ - على ألا يتركا لعدوهم نظاما خلف صفوفهم.

ولما كان خالد قد وصل الحيرة أولا، وتخلف عياض عاما عن تنفيذ مهمته (بالقدوم إلى العراق من أعلاه) فقد نجم عن ذلك:

- بقاء دومة الجندل دون فتح؛ وقد تألب فيها أهلها وأحزابهم من (بهراء - وكلب - وغسان - وتنوخ - والضجاغم - ...). الطبري ج٢ - الصفحة ٥٧٨.

وبقاء المنطقة من الفراض (البوكمال) وحتى قرب دون حسم؛

ففيها كانت الإشتباكات سجالا فقد (.. كان بالعين عسكر لفارس، وبالأنبار آخر، وبالفراض آخر..) الطبري ج٢ - ص٥٧٣.

- وكانت طبيعة الاشتباكات - التي دارت خلال عام سجالا مع حاميات الفرس في العراق ومع مسالحها - قد هيأت الظروف والمبررات لاستعجال حسم المشاكسات التي تبدت لخالد ممن لم ينضو تحت لواء فتحه.

كل ذلك كان قد فوّت على خالد بل على خطة المسلمين في فتحهم للعراق ما يلي:

- عاماً كاملاً عمل فيه **جيش خالد** منفرداً بانتظار إجهاز عياض على دومة الجندل.

- عدم الاطباق على الحيرة من أعلى وأسفل - بل من أسفل فقط - رغم أن خالداً تجاوزها إلى عين التمر وغيرها.

- عدم قيام الظروف الموضوعية لتنفيذ المهمة التالية للجيش المفترض أن يتوحد بعد أن يطبق جناحاه على الحيرة - وكانت المهمة التالية: إتمام فتح المدائن التي فيها عز الفرس - وقد بقيت الصفة الغالبة على الاشتباكات في تلك الفترة عند اشتدادها أن يكر المسلمون خلف الفرس حتى دجلة ثم يعودوا لقواعدهم بسبب البند التالي:

- عدم قيام الاحتياط الذي أمر به أبو بكر (أن يبقى أحدهما رِدْاً لصاحبه...).

- وان عدم القضاء نهائياً على قوى فارس جنوبي نهر الفرات أبقى لهم أو لحلفائهم نظاماً خلف صفوف المسلمين: وكان القضاء عليه شرطاً لإتمام المهمة التالية وفق توجيه أبي بكر.

كل ذلك تطلب من خالد أن يعيد تنظيم تعاونه مع عياض، وذلك بالإجهاز على دومة الجندل ومن تحزب لأهلها من حلفائهم، فكان لا بد من هذه الخطوة الكبيرة لتتاح لجيشه فرصة مرضاة الله وخليفة رسوله، وتطلعات الجيش الفتي بمن فيه من الصحابة. (وقال خالد للمسلمين: لولا ما عهد إلى الخليفة لم انقذ عياضاً وكان قد شجى وأشجى بدومة وما كان دون فتح فارس شيءٌ...)وكان أبو بكر قد عهد إليهم أن لا يقتحم المدائن وخلفه نظام لهم - وكان بالعين عسكر لفارس وبالانبار... أنظر الطبري ج٢ - ص٥٧٣.

وهناك ملاحظة جديرة بالانتباه وهي أن «الفرائض» التي كانت نقطة توتر دائم لصراع الجبارين (الروم - والفرس) في ذلك العهد الغابر وفق تقنية ذلك العصر.. قد تحولت على ما تواتر من اجتياح جيوش المسلمين لجنوبي العراق - وجنوبي الشام - إلى نقطة لقاء أعداء الأمس في حلف جديد لصد الغزاة القادمين من أعماق الجزيرة العربية، لذا فان خالداً (.. لم يثب على الفراض وثبته تلك حتى كان قد «طهر» جوف الصحراء من جموع الاعراب التي تكوَّفت إلى دومة الجندل وعوقت عندها زميله «عياضا») (انظر موسوعة العقاد الإسلامية ج٢ - ص٩٥٠ وما بعدها بتصرف).

وكل ذلك أدى بخالد إلى:

١ - تثبيت مؤقت على جبهة العراق ما أمكن وخلّف القعقاع عليها.

٢ - ثم تركيز الجهود الرئيسية بعد المناوشات العديدة باتجاه حل مشكلة دومة الجندل وعياض، ففي ذلك - دحر لمن تكوف فيها وللصفوف التي قد تبقى للاعداء خلف المسلمين، كما تحرر لخالد جزء كبير من القوات الرئيسية في جيش عياض ليتمكن خالد من تنشيط فعاليته القتالية تجاه الفرس، سواء دون الفرات أو باتجاه الشمال الشرقي نحو المدائن، ولربما تجاه من عصى فاندحر تجاه أعماق بلاد الشام من تغلب وغيرها - وكما أنا لا نستطيع إلا أن نتذكر بأن قائداً كخالد - وفي جيشه جمع كبير من الصحابة الأوائل - لا بد أن يتذكر ويتسقط واياهم أخبار الجيوش الأربعة التي كان وجهها الخليفة أبو بكر إلى الشام وهي بإمرة:

١ - أبو عبيدة إلى حمص

٢ - ويزيد بن أبي سفيان إلى دمشق

٣ - شرحبيل إلى الاردن

٤ - وعمرو بن العاص وعلقمة إلى فلسطين.. تلك الجيوش الأربعة التي - كانت تعاني كثيراً أيضاً - كانت تعالج وضعا معقداً في نواحي كثيرة لسنا بصدد سردها، وهكذا حتى إذا ما اتيحت الفرصة لخالد أرسل لعياض جوابه على استنجاده ومشورته فقال له ما ذكرناه سابقا.

(انظر موسوعة العقاد الإسلامية ج٢ - ص ٩٥٥).

وبسرعة خيالية اندفع خالد بنجدته فوصل من الحيرة إلى دومة الجندل في عشرة أيام وكانت مسيرة أسبوعين.

وأيضاً لا بد من ملاحظة تستحق الاهتمام وهي:

إن توفير الوقت بهذه الصيغة كان حرياً في تلك الايام بأن يخلق خللا في تقنية ذلك العصر، إذ لا بد لمن كانوا يتتبعون خالداً من عيون أعدائه وجواسيسهم أن يقيموا حساباتهم لوصوله في (١٤) يوما فإذا به يأتي دومة الجندل قبل أربعة أيام، فكان هذا بحد ذاته كافياً ليربك المجابهة وليعكس نوعا من المفاجأة، حتى ولو علموا بتحركه اليهم مسبقاً.

ثم ما لبث أن هزم أهل دومة الجندل وأحزابهم وحصنهم..

(ثم قفل إلى العراق وهو مطمئن إلى غزوة الفراض فغزاها..)

(انظر موسوعة العقاد ج٢ - ص ٩٥٥ - وما بعدها بتصرف).

ولقد كان لتغيب خالد عن ساحة العراق فترة ولو قصيرة آثار سلبية، فظنوا به الظنون وهيأت للضعاف أن يتواصلوا فلغطوا بذكره - وكاتبهم عرب الجزيرة غضبا لعقة... فخرجوا يريدون الانبار... ويتوعدون، وتصرف القعقاع فحال بينهم وبين الريف... فلما رجع خالد عزم على مصادمة أهل المدائن (لكنه) كره خلاف أبي بكر - وليس له أن يخالفه - فلا بد من الإجهاز على صفوفهم فلا يدعها خلفه - وقدم على خالد كتاب امرىء القيس الكلبي ان:

١ - الهذيل قد عسكر بالمضيح.

٢ - وان ربيعة بن بجير نزل بالثنى والبشر في عسكر غضبا لمقتل عقة؛ ابن أبي عقة وهو أمير عين التمر حليف مهران، فخرج خالد واستخلف على الحيرة (عياض بن غنم) فأتى... الخنافس - والعين - والمضيح ثم (وادي) حوران ثم الرنق (وادي الرتقة) ثم الحماة (وهي غالبا الحميمة) غ البوكمال، ثم الزميل وهو (الثنى والبشر) وهما اليوم شرقي الرصافة، وهكذا كان قد تجاوز الفراض، وعندما انعطف عليها مر بالرضاب.

وكانت الفراض للروم فاغتاظت واستعانوا بمن يليهم من مسالح فارس (وهما جباري ذلك العصر كما أسلفنا وكانت الفراض بينهما حتى تلك الواقعة نقطة توتر فأصبحت نقطة لقاء اذ أصبحا يجابهان خطراً واحدا).

وكانت المجابهة في الفراض بين خالد وجيشه من جهة وبين جيوش الحلف الجديد (الروم والفرس) في النصف من ذي القعدة سنة ١٢ هـ فأخذهم، ولخمس بقين من ذي القعدة سير الجيوش إلى قواعده في الحيرة وكان قد نفذ مهمة عياض في أعلى العراق وزاد عليها أن فتح جزءاً من الشام يمتد حتى البشري الحالي بما فيه البوكمال، فكان أمامه مهمتان:

١ - اعادة التجمع وقد رأى أن تتم في الحيرة فسيَّر الجيش إليها بإمرة (عاصم بن عمرو) وباشراف (شجرة بن الاعز) إذ جعله مسؤولا عن سوق الجيش إلى الحيرة.

٢ - أما المهمة الثانية فكانت في طاعة ربه في أداء الحج - وكان بقي لموعده سبعة عشر يوماً - فاجتاز إليه بالسمت، وعاد دون أن يعلم سوى من أشرف على سوق جيشه للحيرة، فلما علم أبو بكر بحجه سراً بعث إليه بما سبق أن ذكرناه من ملام واعجاب وتكليف ووصاة.. وكان هدف رسالته إليه أن (سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك...).

فوافاه الامر هذا وهو على أبواب الحيرة، وهو يهم بدخولها مع آخر أرتاله العائدة من الفراض، ولتوه راح يحلل الموقف والمهمة الجديدة ومتطلباتها، فكأنه أعد ليطعن من وقعة إلى أخرى، فكان قائداً فذاً لكنه مع الخليفة كان مرؤوساً ينفذ تعليماته إلى درجة الالتزام بالرغبات التي كان يعتبر تنفيذها مرضاة لله ولخليفة رسوله.

عودة إلى مواطن اللبس وأسبابه

ولا بد في مجال البحث عن الجزء المفقود من الدرب الذي سلكه خالد إلى الشام أن نمعن البحث فيما أحاط بهذه المسيرة وما سبّب اللبس في المسار، فاتجه بعضهم إلى الوقوع فيما لم يكن واقعياً، وما لم يحصل خلال عمليات خالد ومسيراته لتلك العمليات، التي أصبحت مثلا يضرب على شمول فكر القائد - ومبادراته - وابتكاره - وتواضعه وحسن تفهمه لواجباته فكان أحسن القادة وخير المرؤوسين، ومن المؤسف حقا الا تخلّد آثاره وتشاد عليها الرقائم وهو الذي:

- قاتل أهل الردة فأخذهم.

- وخرج بالإسلام إلى العراق وكانت تحتلها فارس فدمرها وحلفاءها من القبائل.

- وأغاث جيوش المسلمين في الشام فنصرهم وهزم الروم. ولكن علينا أن نذكر دائماً ان خالداً انتصر على هؤلاء جميعا بجنوده العرب الذين قدموا معه، وبالعرب ذاتهم الذين كانوا يقيمون في البلاد التي قدم إليها. إذ يذكر الطبري في ج٢ - ص ٥٥٢ ما يلي:

(إن المثنى بن حارثة الشيباني سار حتى قدم على أبي بكر رحمه الله فقال: أمرني علي من قبلي من قومي، أقاتل من يليني من أهل فارس وأكفيك ناحيتي. ففعل ذلك فأقبل فجمع قومه وأخذ يغير بناحية كسكرة مرة ومن أسفل الفرات مرة).

ومن المؤسف حقا أن يبقى المسار نفسه مجهولا وموضع شك، وكم يكون منصفاً وحقا أن يوثّد مثل هذا الطريق في المواقع الرئيسية التي مرت بها نجدة خالد لتكون مثلا يحتذى ونمطاً نفخر به، فقد كانت مسيرته التي نحن بصددها قمة في الإبداع والجرأة والحنكة بالنسبة لتقنية ذلك العصر، ولعل أهم العوامل التي جعلت الشك يداخل اليقين في هذا الدرب:

أولا - ورود كلمة دومة.

- وقد أثبتنا أنها ليست بالضرورة دومة الجندل.

- وأن للحيرة دومة أيضاً لعل قصر السدير بني فوقها.

- وأن للأُكيدر نفسه دومة في الحيرة غير دومة الجندل.

ثانيا - وأن مسيرته إلى دومة الجندل التبست بمسيرته لنجدة جيوش المسلمين في اليرموك.

١ - فأوضحنا ان مسيرته إلى دومة الجندل تمت عام ١٢ للهجرة. (وثيقة ١٥).

- بينما تذكر دائرة المعارف الإسلامية ج٤ - ص ٢٥٣ في مادة (بهراء) أن فتح الشام تم عام ١٣ للهجرة وليس عام ١٢ هـ - (الوثيقة ٢٩ والوثيقة ٣٠).

٢ - وأنه كما أوضحنا أُفضى إلى دومة الجندل بعد افتتاحه عين التمر (الوثيقة ١٥)... فسلك الفلوجة حتى نزل بكربلاء (الوثيقة ٢٣).

- بينما خرج في مسيره إلى الشام سائراً إلى دومة (دومة الحيرة) ثم طعن في البر إلى قراقر مبتعداً عن العيون التي كانت ترقبه في مدن الطف - في حوض نهر الفرات وقربه.

٣ - وقد ودعه المثنى بن حارثة الشيباني في مسيره للشام حتى قراقر ماراً بدومة وصار خلفاً له في الحيرة (وثيقة رقم ١١ و٤و٣٠).

بينما في مسيره إلى دومة الجندل خلف القعقاع وسلك طريقاً آخر (الوثيقة رقم ٢٣).

٤ - ووداع المثنى لخالد لقراقر (في بادية السماوة) معقول.

- أما من يكون ودعه إلى قلبان قراقر (في وادي السرحان كما اجتهد حتّي وكلوب وغيرهم) فأمر منفي قطعا.

ثالثا - كذلك التبست مسيرته إلى الشام بغزوة له من الحيرة إلى الزميل - وهو جبل البشري حاليا - إلى الرضاب وهي الرصافة (الرصابا) - حيث انعطف في النهاية على الفراض فاحتلها. وهي غزوة جاءت بعد عودته من دومة الجندل، ليعيد التوازن إلى مسرح العمليات الذي اضطربت موازينه لمجرد نجدته لغياض وتوجهه إلى دومة الجندل حيث ظنوا به الظنون، فاتحد خصما الامس (الفرس والروم) في مجابهة واحدة ضد خالد وجيشه.

١ - ففي غزوته إلى البشري (الزميل) والفراض بعدها خلف عياضا بن غنم على الحيرة، والذي جاء معه من دومة الجندل، (الوثيقة ٣٥).

- بينما في مسيره إلى الشام خلف على الحيرة المثنى بن حارثة كما أسلفنا (الوثيقة ٣٠).

٢ - وفي غزوه للبشري (الزميل) مر بـ: المضيح وهو جبل في الكوفة (وثيقة ٢١و٢٦) وبحوران (وادي حوران) ثم الرنق (وادي الرتقة اليوم) ثم الحماة (وهي الحميمة اليوم على وادي المياه) ثم الزميل (وهو البشري اليوم) وفيه الثنى والبشر[1] ثم بعد وصوله إلى الرضاب (وهي الرصافة اليوم) استدار وانعطف نحو الفراض (البوكمال).

٣ - وفي مسيره إلى اليرموك في الشام انطلق من الحيرة (الوثيقة ٩) ثم مر بقراقر (وثيقة ١و٢و٤و٧و٨و١١) وفوَّز منها إلى سوى (الوثيقة ٤و٧و٣٣).

- وهنا يجدر بنا أن ننوه إلى تلك المفازة (قراقر) حتى سوى؛ إنما هي مجرد بادية قفر لا ماء فيها - أما بعد سوى فان المنازل اتصلت لخالد (الوثيقة ١٠) ولا بد لنا ان نذكر ايضا ان رصيفا (طريقا قديما) مُدَّفي الازمنة الغابرة من (تدمر) إلى (قصر صواب) نحو (هيت في العراق). (الوثيقة ٢٤) وخريطة أثر روما في بادية الشام المرفقة التي دققناها بعد اجراء بعض الإضافات وترجمتها للعربية (آخر اصدار لها عام ١٩٨٠) توضح بدقة كبيرة تلك المنازل والطرق والأرصفة التي كانت في ذلك الوقت. إذن كان أمام خالد طريق متصل المنازل بعد وصوله الى سوى وربما جانبه قليلا.

ثم تابع خالد مسيرته بجيشه فمر بأرك وتدمر (ماراً بالبصيري) فالقريتين وحوارين فثنية العقاب فعدرا فبصرى فاليرموك.

ومن الجدير بالذكر أن ننوه بأن بعض المؤلفين القدامى جاؤوا على ذكر أن خالداً مر على (قناة بصرى) مروراً لا يوضح المعنى وأعتقد أن ذلك في مسيره إلى بصرى الشام واليرموك، مر على موقع البصيري (وفيه سد خربقة الذي تمتد منه ساقية لتروي قصر الحير الغربي) خاصة إذا علمنا أن الممر الأفضل هو الأيسر في سلسلة الجبال التدمرية الجنوبية، وإلا فمن أين أتى القريتين وهي غربي هذه السلسلة؟!.

٤ - ودفعا لِلَّبْس نقول: ان خالدا كان يرغب أن يأتي الروم من خلفهم معللا ذلك بانه (ان استقبلهم منعوه من غوث المسلمين) (الوثيقة ٤).

وقد أوردت في ثبت الوثائق - وثائق أخرى تدل جلة على أن خالدا جاء بلاد الشام في مسيرته إلى اليرموك، متخذاً مسافة حيطة جانبية من جانبه الأَيمن كافية، تجعله وجيشه بعيداً عن أنظار عدوه وعبر البادية مبتعدا مسيرة (٢ - ٣ يوم عن الفرات) ثم اتجه على مسار الرصيف الروماني القديم نحو تدمر مخترقاً سلسلة المخافر على الطريق الديقلوسُّنية.

٥ - وهكذا فانه جاء الشام من حدودها الشرقية وليس من جنوبها، وهذا ما يؤكده استدلالهم بنجم الصبح الذي أوصاهم دليلهم بأن يكون على حاجبهم الايمن.

- وانه لم يمر بوادي السرحان في هذا المسير، ولم يمر بما سمي فيما بعد بقلبان قراقر، وان السبع بيار ليست سُوى (بل وادي صواب الحالي هو سُوى أو تقع فيه) (الوثيقة ٣٣)، كما ان سيس ليست سُوى (كما زعم حتي وكلوب).

- كما أن الجدول التالي يسهل التمايز بين تلك التحركات التي نفذها خالد بسرعة ساعدت على اللبس.

- جدول تحركات خالد بعد حرب الردة في اليمامة وحتى اليرموك -

مسلسل	العملية أو المسير	القائد	الخلف	الهدف والغاية
١	من اليمامة إلى العراق من أسفله	خالد بن الوليد	تحرك كامل جيشه ولم يترك خلفا عنه لعدم الحاجة له	فتح العراق بالاشتراك مع عياض بن غنم الذي تخلف عنه
٢	من الحيرة إلى دومة الجندل والعودة للحيرة	خالد	القعقاع بن عمرو	فتح دومة الجندل التي عاقت عياضاً عاماً
٣	من الحيرة إلى البشرى ثم الفرائض	خالد	عياض بن غنم	معاقبة العصارة الفارين الذي عسكروا بالبشرى. احتلال الفراض (البوكمال) ودحر الحلف الذي شكله خصمي الأمس الفرس والروم.
٤	الجيش من البوكمال الى الحيرة. وخالد من البوكمال إلى الحج.	خالد	القائد	اعادة تعبئة قواته. تأدية الحج سراً.
٥	الحيرة واليرموك	خالد	المثنى بن حارثة الشيباني أمير بني بكر بن وائل	نجدة جيوش المسلمين في الشام.

- وان نظرة أولية سريعة إلى المسلسلات (٢و٣و٥) توضح ما التبس.

٥ - وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي (ان الأسماء والأعلام عرضة للتبديل والتغيير كما هي عرضة للتحريف والتصحيف) (الوثيقة ١٣ و١٤).

ولذا كله فاني أوضح في الخريطة المرفقة مسيرات وعمليات خالد منذ وصوله إلى العراق وحتى وصوله إلى اليرموك، والتي تنفي ما ورد في كتابيْ (حتي/ وغلوب) المذكورين.

ونأمل ان نكون قد أوضحنا الجانب الملتبس في أهم تحرك للعرب قام به المسلمون الأوائل بعد خروجهم من الجزيرة إلى العراق والشام.

- محاور الطرق والمسارات في تحركات خالد بن الوليد -.

١ - من اليمامة إلى العراق:

اليمامة - ما قبل حفير الباطن - كاظمة - ذات السلاسل - المزار - الوجة - اليس - الحيرة.

٢ - من الحيرة إلى دومة الجندل:

الحيرة/ الانبار/ عين التمر/ وادي الخر/ دومة الجندل.

٣ - من الحيرة إلى البشري ثم العودة إلى الفراض:

وكان الانطلاق من الحيرة:

أ - (رتل القعقاع/ وابن فدكي: إلى الحصيد/ الخنافس وتم اللقاء مع القوى الرئيسية في المضيح.

ب - أما (خالد ومعه القوى الرئيسية للجيش: فقد سار بعد

التلاقي في المضيح بكامل القوى (الرتلين) مساراً ماراً بالجنـاب/ البردان/ الحني/ حوران/ (وادي حوران)/ الرنق/ (وادي الرتقة)/ الحماة (حميمة)/ الزميل (الثني والبشر - البشري اليوم) الرضاب (الرصافة)/ الفراض (البوكمال).

٤ - من الفراض البوكمال إلى:

أ - بالنسبة لعودة الجيش إلى الحيّرة، نفس طريق الذهاب السابق (٣ -أ).

ب - وأما بالنسبة لمسير خالد إلى الحج سراً (وبالسمت) والعودة فقد سار بطريق وادي الخر/ إلى شرقي دومة الجندل مكة (بالسمت عن طريق نجد) وكذلك العودة راجعاً للحيرة مارا بدرب الصد جنوب غربي الكوفة - الحيرة.

٥ - الحيرة - اليرموك:

الحيرة - دومة الحيرة - قراقر - ارك - تدمر[١] - ثم

---

(١) ثم سار مع الجانب الشرقي للسلسلة التدمرية الجنوبية وغربي الطريق الديقلوسيانية - البصرى وهو ممر طبيعي في السلسلة الجبلية المذكورة (وقناة بصرى هي ساقية من سد خربقة في الممر المذكور إلى قصر الحير الغربي) وكما سبق أن ذكرنا فان هذا هو الممر الرئيسي ضمن السلسلة التدمرية الجنوبية - وما زال كذلك في رحلتي (٢٦) البدو حالياً (التشريق والتغريب) ونعتقد أن جيش خالد قد عبر الممر للوصول الى القريتين وهذا ما سبب لبسا لبعض الكتاب الذين ذكروا مروره بساقية بصرى قبل وصوله إلى القريتين.

مر بالقريتين وحوارين/ ثنية العقاب/ عدرا/ بصرى[1]/ اليرموك.

- السمات الرئيسية التي حكمت عمليات خالد -

ويلاحظ في عمليات خالد التفكير العميق في كيفية خلق أوضاع مفاجئة ومربكة، تعكس على وضع عدوه سلبيات كبيرة وتجعله في موقف ضعيف، وأبرز هذه الظواهر:

١ - حركة الالتفاف الواسع والعميق.

٢ - السرعة وسلوك الطرق السمتية التي يدفعها غيره.

٣ - الخدعة وتشتيت جهود الخصم وخلق المواقف العاجلة والمربكة للعدو والتي تجعله غير قادر على تجاوز ردود الفعل.

٤ - القدرة على التفكير الشامل لإطار الصراع العام، ومع أكثر من عدو، ووضع أفضليات تتناسب وأهمية ما تتركه من آثار فعالة في تدمير العدو أو تشتيت جهوده، بينما نجد خالداً يركزها بالاتجاه الصحيح ويشاغله على بقية الاتجاهات.

٥ - كان خالد في كل معركة يستند إلى الصحراء في ظهره ويضع جنوده قبالة النصر والماء والغنائم، ولم يزجهم مرة في معركة غير جدي.

وقد كانت الصحراء بحد ذاتها رِدْاً له، إذ عرف ضعف عدوه في

---

(١) - عن طريق ماريس.

قدرته القليلة على ملاحقة الاعراب في الصحراء، وفق نظرته الشاملة لأسوإ فرضيات الصراع.

ففي انعطافه إلى دومة الجندل، قادماً من الحيرة، بعد عام من اعاقتها لعياض بن غنم، جاءها من حيث لا ينتظرون؛ إذاً علمنا ان خالداً قدم العراق من أسفل - حفر الباطن - في (أقصى جنوبه) قادماً من اليمامة، ثم دخل الحيرة المربعة ولم يلبث (ولو بعد عام) بعد أن عالج قصورها الأربعة، أن انعطف إلى الجنوب الغربي حتى دومة الجندل فأخذها وعاد إلى الحيرة.

- فوفَّر الزمن اللازم للوصول إلى الحيرة حتى ١٠ أيام بدلا من ١٤ يوماً.

- وجاءها من الخلف حيث كانت نجدة عياض تنتظر ان تأتيه من الخليفة ومن جوف الجزيرة فجاءها زحف خالد من قفاها.

- وفي إدارته للمعركة حول دومة الجندل تبدو لنا شخصية خالد وهو يجابه أهلها وأحزابهم؛ حيث استدرجهم خارج الحصن بمغريات، ثم لم يلبث ان اندفع وراءهم كالسيل لدرجة ان من دخل الحصن اضطروا لإغلاق أبوابه دون حلفائهم. وبذلك تمكن من معالجة من هم خارج الحصن، حيث شطرهم ونأى بهم عنه، ولم يلبث ان أخذ الحصن وفيه (بنت الأكيدر).

وكان قد ترك القعقاع بن عمرو ومن يكفي لصد الغارات الفارسية التي توقعها؛ حيث أغلق عليها الريف حتى عاد خالد منتصراً من دومة الجندل - وحيث وصل إليه - تمكن من إعادة

التوازن لمسرح العمليات بعاملين كبيرين وهما:

١ - الروح المعنوية الكبيرة والعالية بعد أن انتصر وجنوده، وأذاق جنود عياض طعم النصر على يديه.

٢ - و(بالردء) الاحتياط الذي أمره الخليفة أبو بكر بتشكيله (فليكن أحدكما ردءاً لصاحبه) وإذا عدنا إلى تسلسل الأحداث نرى خالداً قد نفذ مهمته في دومة الجندل وفق أفضلية حتمية، دعمها أمر عاجل لخالد من أمير المؤمنين بعد أن ورد لخالد من عياض (مشورة - واستنجاد).

وقد ذكر خالد فيما ذكر أنه (لولا ما عهد إلي الخليفة لم أنقذ عياضا وما دون فتح فارس شيء).

فكان اجهازه على فارس بعد أن التقى في الحيرة مع عياض، وبعد ان لم يبق لعدوه (نظام خلفه) - وبعد أن أصبح أحدهما (ردءاً لصاحبه). وها هي الفرصة الملائمة، فقد نقض القوم العهد، وتوعد آخرون بجنوده كما تخرصوا بالنصر - فانبرى لهم، وما لبث ان اندفع هذه المرة لتنفيذ المهمة التي كانت محددة لعياض بأن يأتي العراق من أعلاه، أي منطقة الفراض.

فأبقى عياضا - نائبه (ورِدْاً له) واندفع مع طلائعه - والفراض على يمينه - واجتاح ديار تغلب حتى الجبل الذي كان اسمه الزميل وفيه (الثني - والبشر) - وهو البشري اليوم كما ذكرنا - وكان بذلك انما يبر بقسم انه ليبغتن تغلب التي كانت بحراً بشرياً قالوا فيه: (لولا الاسلام لأكلت تغلب الناس).

- ثم انعطف راجعا إلى الفراض التي كانت في جنبه الايمن - فأخذها، وباجتياحه لها حقق نصراً كبيراً، فقد انتصر فيها على الروم - والفرس اعداء الأمس، الذين تحولوا إلى حلفاء ضد خالد (كما أسلفنا).

- فهو بذلك أسرع بما لم يتوقع منه في صوله إلى البشري، إذ لم يكن متوقعاً أن يغامر في القدوم للبشري قبل مجابهة كبيرة في الفراض، التي تجاوزها ثم انعطف عليها، وبذلك حقق عملية التفاف عليها أيضاً فجاءها من أعلاها وهي التي توقعت قدومه من الشرق.

- ومن الجدير بالذكر انه في هذه الوقعة جابه الروم على حدة - حيث كان حلفاؤهم (الفرس) ينتظرون النتيجة - وكان ذلك بناء على اقتراح قادة الروم (ليروا ما يأتي من سوء ومن أيهم أتى..).

ولا ننسى انه لم يقدم على اجتياز النهر فيدعه في ظهره، وبقي معتمداً على أن الصحراء ذاتها (رِدْاً حقيقيا) له.

- وما ان احتل الفراض حتى اندفع في طريقه إلى الحج بالسمت، فأتى إلى مكة مباشرة في مهلة قصيرة، والمؤكد أنه انطلق للحج في (خمس بقين لذي القعدة) ومن خلال السمات الخمس السابقة فقد:

- استثمر الوقت واختصره لصالح اعادة التجمع لقواته في الحيرة فأوعز بسوقها.

- وخدع اعداءه الذين لم يتصوروا قائداً يذهب للحج ولا يعود على رأس جيشه من غزوة كللت بالنصر، ويدع غيره يسوق له جيشه إلى قاعدته.

- وأما عودته ودخوله إلى الحيرة قادما من الحج - من مؤخرة قواته إنما يمثل حرص القائد الفذ على كتمان تحركه حتى ولو كان في مرضاة الله.

أما تلك العودة الظافرة إلى قاعدته فكانت تعبيراً رمزياً عن الاعداد مجدداً لعمل كبير، من خلال شمول تصوره لما كان يحيط بالفتوح الإسلامية وجيوش الفتح الشامي الأربعة، التي كان يتسقط والصحابة معه أنباءهم، وكانوا حينذاك يعيدون تجمعهم للاقاة جموع الروم، وما لبث ان جاءه اليقين بأن يدلف الشام نجدة لهم.

- فاختصارا لوقته وجيشه وللمجابهة التي تتعرض لها الجيوش الأربعة في الشام، سلك طريقاً بعيداً عن عيون عدوه، فجرده من عيونه ومراصده وافقدها قيمتها. فجعل مسيره اليومي ضعف المسير العادي، وخفض الزمن لوصوله إلى نقاط مروره، وكانت غزوته الاولى حتى البشري قد تركت صدمة للروم، وما لبثت أن ارتدت اليهم وقلوب حلفائهم على ثغور الصحراء ومسالحهم تتقلب على لسان شيخ لاقاه في (أرك) فيما بعد، وكان ينصح أهله بأن هذا الوجه المجدور لا يغلب (عن خالد) فراعهم فعلا ما فعله عندما احتل بلاد تغلب، ثم ما لبث ان عاد على مثل البرق ليقض

مسالحهم - وهو بفتحه أرك وكدمة (كديم) انما شتت فكر عدوه، الذي لم يلتقط الانفاس ليفسر لديه معنى تجاوزه ما بين البشري - والجبال التدمرية الحالية، وكأنه بتجاوزه هذا الممر انما يتجه إلى الفرات أو غربيه، وبدا وكأن له غاية لا تنتهي إلا في الثغور الشمالية...

- ثم انعطف غرباً نحو تدمر وجنوبا حتى القريتين وحوارين وثنية العقاب حتى اليرموك غربي بصرى.

- فأتى بذلك عدوه من خلفه وكان من المنتظر ان يأتي امداد المسلمين من الجنوب.

- وتعتبر تلك الحركة المروحية بجيشه حركة التفاف تتجاوز مفاهيم تقنية ذلك العصر؛ لان ذراعها الذي يبلغ مسيرة شهر فاختصره بـ١٨ يوما. ونستطيع أن نتصور معنى سبق الزمن في ذلك العصر، حيث ما يلبث الروم أن يعلموا بأخباره، فيحاولوا معالجة ذلك الموقف بردود فعلهم حتى يخلفهم فيه، ويبدو لهم في موقف جديد لم تعد المعالجة الاولى مجدية حياله.

- أليست ميكانيكية تلك الضربات المتتالية قادرة على خلق موقف صاعق على اعداء خالد؟!! لا شك انه كان يمثل الشهاب الصاعق الذي لا يشق له غبار.

ولا شك ان خالداً قد حقق:

١ - المفاجأة الاستراتيجية: إذ لم يعثر له على أثر حتى اليوم

الخامس من بدء المسير، وذلك بسبب المسار الذي قال الشاعر انه: لم يسلكه من قبل إنس ولا ....

- وبسبب قطعه التماس مع العدو من خلال تصميمه سلوك المفازة مبتعدا عن المنازل المألوفة، وبعودته للحيرة - قبل مسيرته بجيشه إلى الشام - ثم ما لبث ان ارتد عليها نجدة لهم.

- وباثبات قدرته على إقامة الاتصال مع الجيوش التي تقتحم بلاد الشام، عبر اتجاه (العراق) الذي صعب تاريخيا على دولة الفرس عبوره مرات عديدة.

- وكانت المفاجأة في تغلبه بجيش رجاله أقرب للبداوة منهم إلى الحضر - على جيش عريق (الروم).

- في ولوجه خلف القوات المعادية من حيث لا يتوقع ان يزج بجيشه.

- وباستخدام أُسلوب جديد في حينه؛ أن يتساوى الفاتح المنتصر مع المغلوب المندحر إذا أسلم، وكان هذا عرضاً جديداً غير مألوف تاريخيا حتى ذلك العصر، حيث كانت النتيجة أن النصر يحتم استعباد المنهزمين دون رحمة.

٢ - كما حقق عملية تضليلية على المستوى الاستراتيجي:

- فباقتحامه كلاً من: /رحوب/ والسخنة/ وكديم/ وارك/ بدا وكأنه يهاجم على جبهة عريضة، وكأنما يستهدف الرصافة وما وراءها بينما ثبت انه كان خلف تلك التظاهرات انما يستهدف

الانعطاف نحو اليرموك - هدفه الأساسي - فيصلها دون ان تستقبله جموع الروم التي خلفها على ثغور الفرات وفي حمص وما رواءها.

فقد كانت القوى الرئيسية تتابع التقدم حثيثاً عبر تدمر نحو الجنوب كما ذكرنا، وإذا لم يكن يقصد هذه الخدعة والتضليل، على مستوى القيادة الرومانية وبالمستوى الاستراتيجي، فلماذا راح يتظاهر بأنه يتعمد فتحها بينما لم يتوقف عند تدمر فعندما وصلها امتنعت عليه وأغلقت أبوابها للحصار فبدا وكأنه يود فرض حصار عليها، لكن لم ينخدع عن مهمته الرئيسية في اليرموك فغادر أسوار تدمر متوعداً؟!! فاندفع بأقصى سرعة نحو الجنوب واستمر كذلك حتى هدفه، رغم انه بعث فيما بعد دحية الكلبي ليدخل تدمر صلحاً على ما صالح عليه دمشق.

والخلاصة أن عملية الضرب في تلك الاتجاهات لم تدع مجالاً لتحليل واضح عن نية خالد الحقيقية، التي كانت خلف كل تلك العمليات التشتيتية، والمحلل العسكري الروماني - الذي سبقت فكرة ضربات خالد في أكثر من اتجاه ظاهرياً - لم يكتشف غاية الخرق المتغلغل السريع، وبذلك شغلهم في غير ما يسعى إليه. ويجب ألا ننسى أنه بذلك خلف وراءه حاميات الروم مما يلي حمص وما خلفها، وكأنه أغمد سيفاً في بطن بلاد الروم، ثم لا يلبث أن يستله ثانية في اليرموك ليقطع قوائم الفارس المزمن في بلاد الشام... فيرحل إلى غير رجعة. وهذا ما كان فيما بعد.

- وبتواضع فإنا لا نهدف من ذلك إلى تحويل ذلك الجيش المؤمن بعقيدته الراسخ الايمان بقيادته إلى (كاوبوي) لكنه الواقع... (ولا تبخسوا الناس أشياءهم).

- استطراد -

وعلى هامش الحديث عن تلك المنطقة - والبشري خاصة - وهو موطن الأخطل - فقد بقي من تلك الاسماء شذرات توحي بها.

فالجبل الذي نسميه اليوم (البشري) كان اسمه (الزميل) وكان قسمين:

١ - البشر: في غربيه، وفيه اليوم الضاحك والضويحك وهما جرفان كبيران أبيضان كجدارين هائلين.

٢ - والثني: وهو القسم الشرقي من الزميل.

وفي قفا البشري شمالاً يقع اليوم (الرحوم) وكانت تسمى (الرحوب) ولها يوم من أيام العرب. واليوم نجد شمالي البشري (الزملة) وهي تشير إلى اسمه القديم. (ورحوم) و(الزملة) يقعان شرقي الرصافة التي كانت تسمى الرضاب وبالسريانية (الرصابا).

وكان البشري لتغلب. ويجدر بنا أن نذكر للقارىء ملاحظتين هامتين تشيران إلى أنهما من مخلفات ذلك العصر؛ فهي من المتحجرات اللغوية الباقية شاهداً على أنها من ديار تغلب.

١- الكشكشة: وهي لغة تغلب ويقال انها أخذت عن الروم،

وهي لغة تجعل فيها الكاف (شيناً معطشة) فنقول: (عليش= أي عليك) (منشم= أي منكم) وغيرها.

وهي لغة ما زالت في تلك المنطقة في قرية السخنة والكوم والطيبة وغيرها من تلك المنطقة.

٢- أما الثانية فهي أن خالداً كخصم احتل بلاد تغلب - وتغلب التي قيل فيها: (لولا الاسلام لأكلت تغلب الناس) كانت ذات بأس شديد، فلا شك انه كان يتعرض لحقدهم، وحيث إنه ذهب للحج وعاد بعد هجمته الأُولى على تغلب في البشري، ثم انعطف واثباً على الفراض (البوكمال) وكان مساره في عودته من الحج على درب سمي (درب الصد) عن طريق وادي الخر وكانوا قد تقولوا وظنوا به الظنون.

ومما قالوه حقداً ودعاءً: (درب الصد أخذ ما رد)...

فذهب بينهم مثلا. وما زال يتردد على ألسنة الناس دون أن يعلموا مناسبته أو على من أُطلق؟ أو من الذين أطلقوه؟.

(.. ويذكر الأخطل في شعره أن البشر (جبل البشري) في الطرف الأقصى من ناحية الغرب من أرض بني تغلب. ويروي أن خالد بن الوليد باغت بني تغلب بالبشر في مسيره من العراق...)[1].

و«البشر هو مع عاجنة الرحوب متصل بها، يقطعه من يريد الشام من أرض العراق من مهب الصبا والدَّبور معترضاً بينهما،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية - ج٣ - الصفحة (٦٥٥).

تفرغ سيوله في عاجنة الرحوب وبينهما فراسخ، والبشر في قبلة عاجنة الرحوب، وبين عاجنة الرحوب وبين رصافة دمشق ثلاثة فراسخ في قبلة البشر، وفي البشر قتل الجحاف بن حكيم من بني تغلب، فهو يوم رحوب ويوم مخاشن، وهو جبل البشر ويوم السلوطح لابة بالرحوب، والرحوب منقع ماء الامطار ثم تحمله الأودية فتصبه في الفرات. ومهب الصبا والدبور هذا هو الممر الواقع بين البشري حالياً والجبال التدمرية الشمالية.

ورحوب هذه هي المنطقة التي فيها بير رحوم (معروف حتى الآن) شمالي البشري وجنوب شرق الرصافة.

وقال أبو غسان: البشر دون الرقة على مسيرة يوم منها فهذا بشر آخر. قال الأخطل في الأول:

مشينا بعرنين أشم وعارض لنمنع ما بين العراق إلى البشر[1]

وأخيراً لعلنا فيما أسلفنا نكون قد وفقنا إلى رسم المسار الحقيقي والدرب المفقود لوثبة خالد بن الوليد رضي الله عنه في مسيره من الحيرة إلى اليرموك لنجدة جيوش الفتح الإسلامي لبلاد الشام.

---

(١) ديوان الأخطل طبع الدوحة (١٣٤).

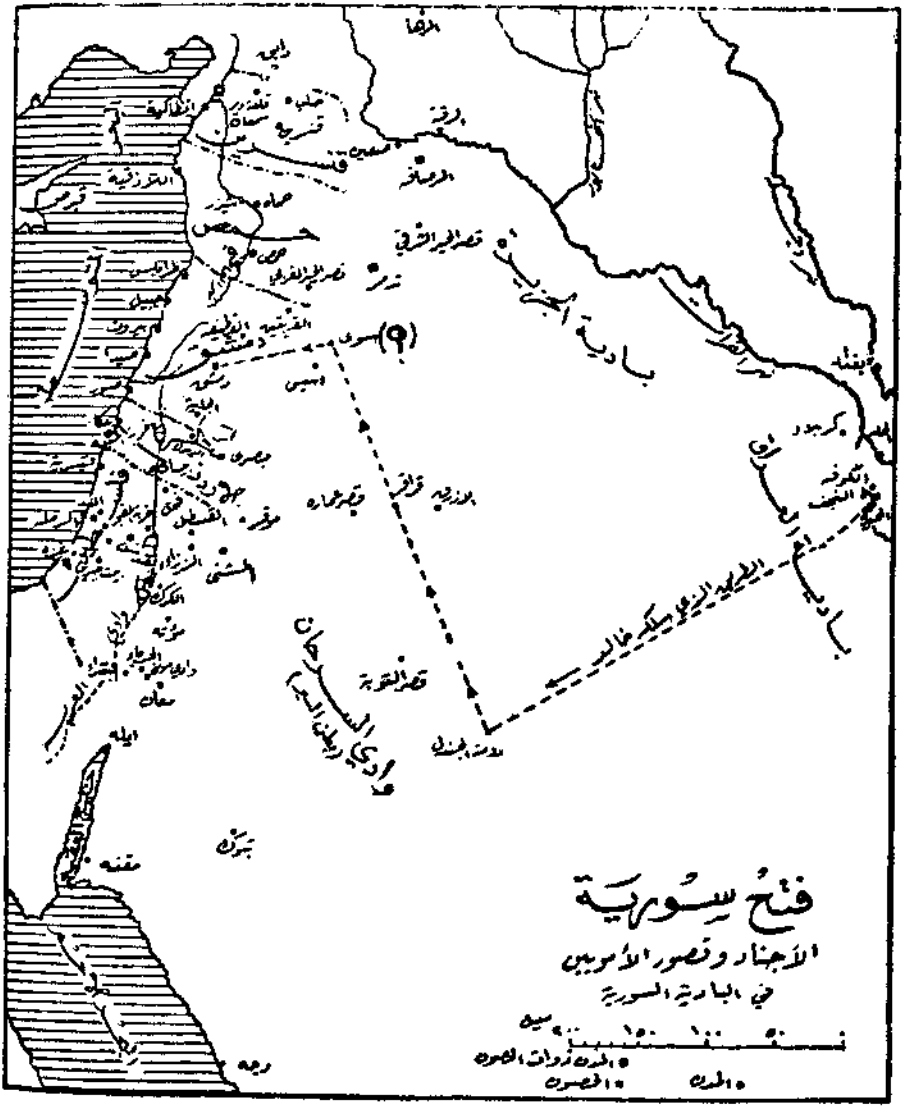

الشكل رقم (١) صورة عن خريطة المسار من كتاب « حتي »

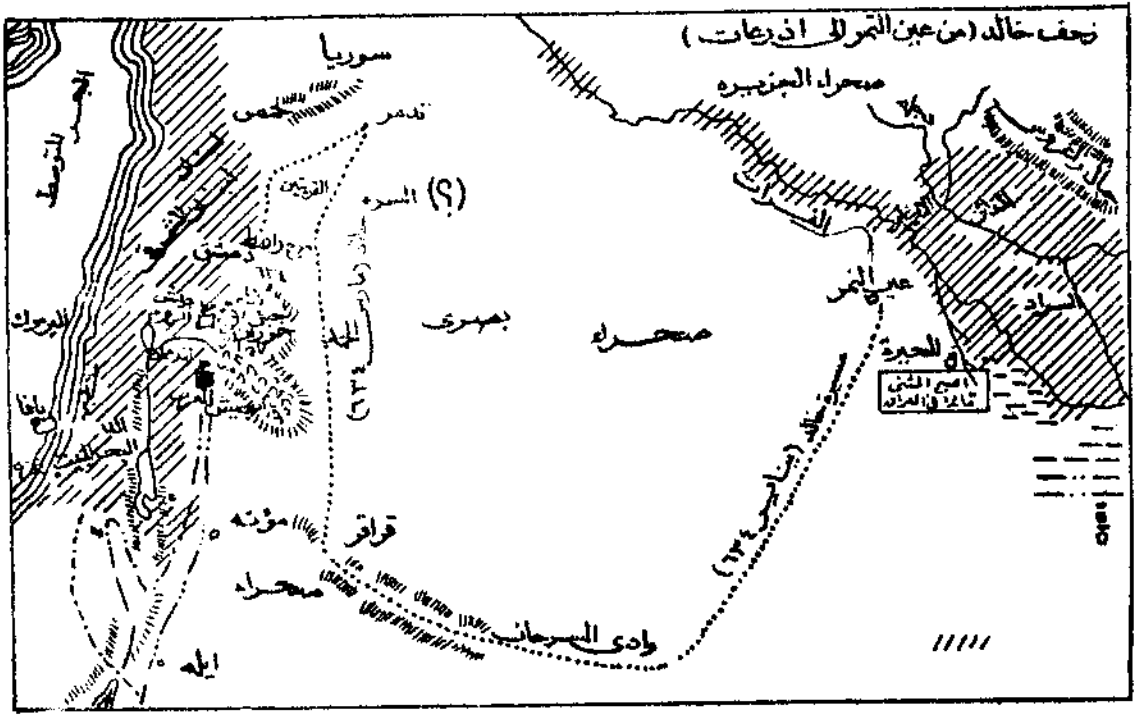

الشكل رقم (٢) صورة عن خريطة المسار كما وردت في كتاب « غلوب »

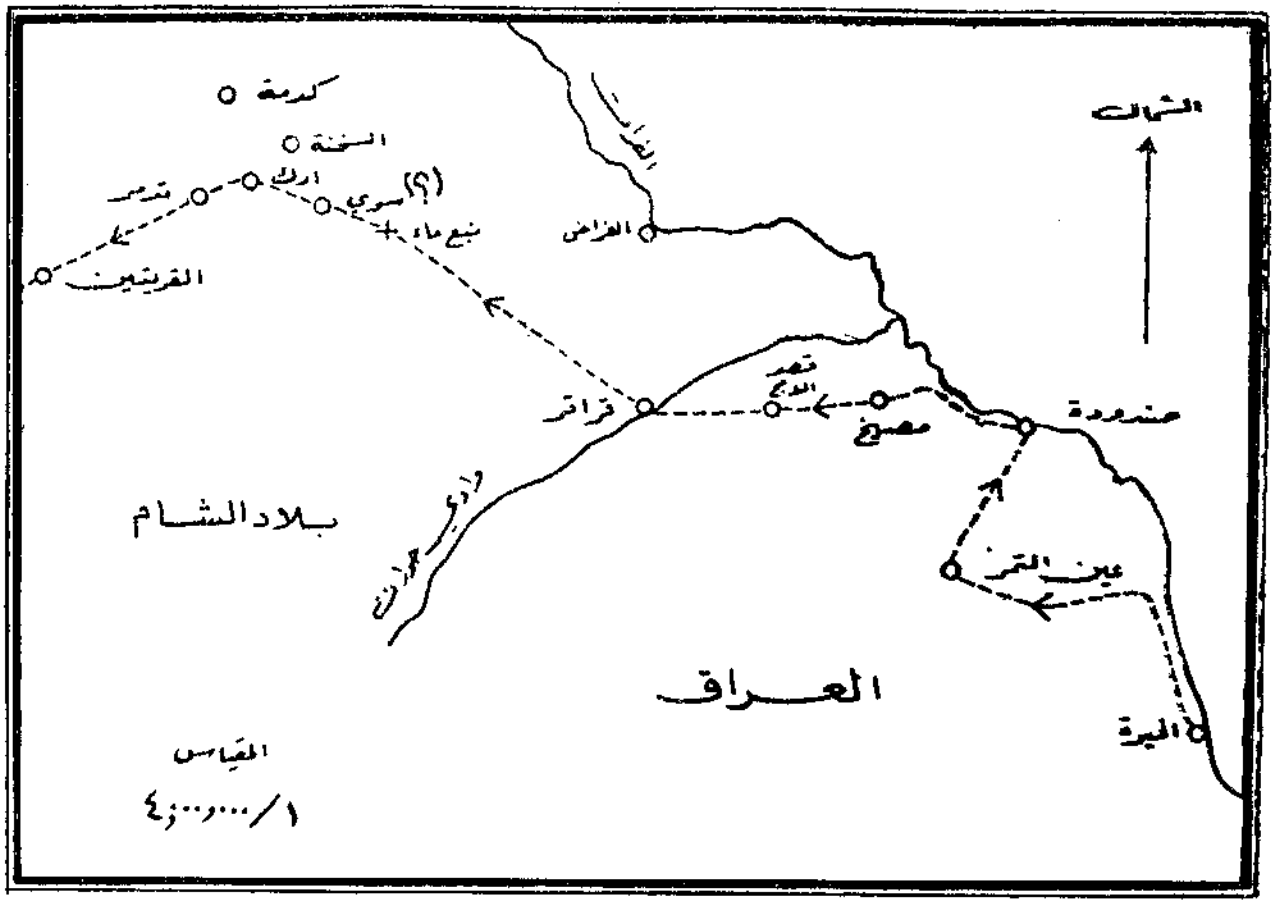

الشكل رقم (٣) المسير الخطر حسب كتاب الجنرال أ. أكرم في كتاب خالد بن الوليد

المصادر

١ معجم البلدان	لياقوت الحموي
٢ المسالك والممالك	لابن خرداذبة
٣ اسماء المواقع الجغرافية في الاردن وفلسطين	وضع اربعة اساتذة - نشر اللجنة الاردنية للتعريب والنشر - عمان
٤ اطلس التاريخ الاسلامي	هاري هازار - ترجمة ابراهيم زكي خورشيد

موافقة وزارة الاعلام ج.ع.س رقم ٧٧٢٩ تاريخ ١١ / ٢ / ١٩٨٠

حقوق النقل والنسخ والتصوير والطباعة والنشر والترجمة محفوظة